التفقه فى الدين

التفقه فى الدين فرض عين على كل مسلم يعينه على عبادة الله حق عبادته فيهديه إلى مناسك العبادات وأحكام الأحوال الشخصية والمعاملات والعقوبات لتكون حركته فى الحياة صالحة زكية ويكون خلقه سوياً فيعرف من العبادات الماء الطاهر والماء الطهور والماء النجس وشروط الوضوء وفرائضه وشروط الاستنجاء وشروط الغسل وشروط التيمم وأركانه وشروط الصلاة ومواقيتها وفرائضها وسننها ومكروهاتها ومبطلاتها وشروط الأذان ومكروهاته وشروط الإقامة وصلاة التطوع وأحكامها وشروط الإمامة ومكروهاتها وشروط الصيام وأركانه ومكروهاته وشروط الاعتكاف ومكروهاته وشروط الزكاة ونصابها وشروط الحج وأركانه ومناسكه وشروط الأضحية.

ويعرف من الأحوال الشخصية أحكام النكاح والصداق والطلاق والعدة والخلع والإيلاء والظهار والرضاع والنفقة. ويعرف من المعاملات أركان البيع والهبة والوصية وأحكام الشركات وحكم المزارعة وحكم النذر وحكم الربا وشروط اليمين وكفارته وما يحل أكله ولبسه. ويعرف من العقوبات أحكام القصاص وحدود شرب الخمر والزنى واللواط والقذف واللعان والسرقة والحرابة. وما يغم عليه من ذلك كله يسأل عنه أهل العلم والمعرفة.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين».

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة».

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

«أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد».

«العلماء ورثة الأنبياء».

وعلم الباطن أفضل الأعمال.

قيل لرسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل. قال: «العلم بالله عز وجل».

والمقصود بالتفقه فى الدين هو طلب علوم الدين والتفقه فيها والعمل بها.

قال رسول الله ﷺ: «لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً».

ويطلب العلم من العالم الذي يدعو إلى اليقين والإخلاص والزهد والنصيحة والتواضع.

قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا عند كل عالِم إلا إلى عالِم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة».

يقول الله تعالى:

﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...﴾ [الزمر: ٩].

﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ [المجادلة: ١١].

﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ [فاطر: ٢٨].

★ **والعلماء ثلاثة :**

عالم مسعد نفسه ومسعد غيره ذلك الذى يدعو الناس إلى الله ظاهراً وباطنه كظاهره.

وعالم مهلك نفسه ومسعد غيره ذلك الذى يدعو الناس إلى الله ظاهراً وباطنه على خلاف ظاهره.

وعالِم مهلك نفسه ومهلك غيره ذلك الذى يقبل على الدنيا ويدعو الناس إلى طلبها.

★ **وثلاثة :**

عالِم عارف بالله وبشريعة الله خاشع زاهد ورع يتفاتى إليه الناس وينتفعون بعلمه.

وعالِم عارف بالله وبشريعة الله خاشع زاهد ورع ولا ينتفع الناس بعلمه.

وعالِم مال إلى متاع الدنيا وخالط سلطاناً ظالماً.

قال رسول الله ﷺ: «خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء».

والعلوم ثلاثة: علوم دنيوية وعلوم شرعية وعلم الباطن والمكاشفة وهو العلم الربانى للأنبياء والأولياء. والعلوم الدنيوية والشرعية تدرك بالعقل أما علم الباطن فمجاله معرفة جلال الله وعظمته وصفاته وأفعاله. وهذه المعرفة لا تسطر فى كتب وإنما تأتى من داخل القلب عن طريق الزهد وتفرغ القلب من شواغله الدنيوية والإقبال على الله مع حضور القلب حتى ينفتح على الأسرار الغائبة. وكل قلب مهيأ بالفطرة لمعرفة ما يشاء الله من حقائق عالم الملكوت والأسرار غير أن هذه المعارف لا تصل إلا إلى القلب السليم الصافى الخالى من نكات المعاصى والمهيأ للمكاشفة مثل قلوب الأنبياء وأولياء الله الصالحين والصديقين المقربين. أما القلب الذى تراكمت عليه المعاصى فهو قلب ران لا تصل إليه هذه المعارف.

ويوجد منفذ خارجى للعقل والقلب لاستقبال حديث النفس والخواطر. والخواطر المحمودة هى إلهام أما الخواطر المذمومة فهى وسواس. والأنبياء لا يرد وسواس إلى عقولهم وقلوبهم.

وبعد استقبال الخواطر ينشأ الميل لفعل الفعل. والصديقون لا ينشأ عندهم ميل لفعل مذموم.

وبعد الميل لفعل الفعل ينشأ العزم على فعل الفعل والصالحون لا ينشأ عندهم عزم على فعل الفعل المذموم.

وبعد العزم ينشأ الهم بفعل الفعل وإصدار الأمر إلى الجوارح لتنفيذه. ثم تقوم الجوارح بالتنفيذ. والهم بتنفيذ الفعل المذموم يترك بالقلب نكتة

سوداء لا يمحوها إلا التوبة. ولا يؤاخذ المرء على الخواطر أو الميول ولا يؤاخذ على ما يجبر عليه من أفعال.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم».

والعقل ذاكرة تتعامل مع المحسوسات أما القلب فهو بصيرة تتعامل مع الغيبيات. والعقل مجال عمله الحياة الدنيا أما القلب فمجال عمله يتخطى الحياة الدنيا إلى الآخرة. والعقل ميزانه متاع مادى مكسب أو خسارة أما القلب فميزانه إيمانى خير أو شر. والعقل بمفرده بدون قلب سليم قد يقود صاحبه إلى الهلاك والقلب السليم يقود صاحبه إلى الفلاح. ومتاع الحياة الدنيا محله العقل والعقيدة محلها القلب. والعقل زاده سفلى والقلب زاده علوى. والقلب هو العقل الحقيقى لعلم الباطن أما العقل الذى فى الرأس فهو آلة الإدراك فى العالم الحسى. والقلب السليم يوجه الجوارح إلى فعل الخير أما العقل فإنه إذا ما انفرد وحده أو اجتمع مع قلب ران وجه الجوارح إلى فعل الشر.

وعلوم الحياة الدنيا محلها العقل وعلوم الآخرة محلها القلب. وعلوم الحياة الدنيا إذا ما استخدمها قلب ران جعلها أدوات شر وتدمير وإذا استخدها قلب سليم جعلها أدوات خير وتعمير. والنور والحب والسعادة محلهم القلب السليم أما القلب الرانى فلا يجد صاحبه إلا الظلمة والشقاء. والفار إلى الله يفر بقلبه والعارف بالله يعرفه بقلبه. والإيمان محله القلب والتقوى محلها القلب ومن لا قلب له لا إيمان له.

وقد وصف الله تعالى القلوب السليمة بأنها قلوب مطمئنة مخبتة منيبة خاشعة صاغية عامرة بالإيمان والتقوى والسكينة والرأفة والرحمة وخالية من الغل والغلظة وأنها إذا ذكر الله وجلت.

يقول الله تعالى:

﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣٣، ٣٤].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾ [التحريم: ٤].

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ...﴾ [الفتح: ٤].

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا

تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ووصف الله تعالى القلوب المريضة بأنها قلوب قاسية آثمة واجفة لاهية مرتابة وأنها فى غمرة وفى أكنة وأنها غلف عليها أقفالها ومملوءة بالرين والخصام والمرض والزيغ والنفاق والإنكار والحسرة والرعب وحمية الجاهلية وأن الله قد طبع عليها فهى هواء.

يقول الله تعالى:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

﴿...وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨].

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ...﴾ [الأنبياء: ١ - ٣].

﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا...﴾ [الإسراء: ٤٦].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]

﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٩].

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢].

﴿ ... لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ... ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ... ﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿ ... كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١].

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

والله عليم بما فى القلوب يمحص ما فيها فيهدى قلوب المؤمنين ويختم على قلوب الكافرين.

يقول الله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

﴿ ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ... ﴾ [الأحزاب: ٥١].

﴿ ... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

والقلوب تعقل وتبصر وتفقه.

يقول الله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قيل لرسول الله ﷺ أين الله؟ قال: «فى قلوب المؤمنين».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع».

عمل الصالحات

عمل الصالحات هو التطبيق العملى للإيمان.

قال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار انتهى عن الشهوات ومن تيقن من الموت انهدمت عليه اللذات ومن عرف الدنيا هانت عليه المصيبات.

وقال لقمان الحكيم: المرء ثلاثة أثلاث: ثلث لله وثلث لنفسه وثلث للدود. أما ما هو لله فروحه وما هو لنفسه فعمله وأما ما هو للدود فجسمه.

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: إن الأرض تنادى يا ابن آدم تسعى على ظهرى ومصيرك فى بطنى وتعصى على ظهرى وتعذّب فى بطنى وتضحك عل ظهرى وتبكى فى بطنى وتفرح على ظهرى وتحزن فى بطنى وتجمع المال على ظهرى وتندم فى بطنى وتأكل الحرام على ظهرى وتأكلك الديدان فى بطنى وتختال على ظهرى وتذل فى بطنى.

قال الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

قال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله». قالوا كيف يستعمله يارسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت».

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

وقال ﷺ: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم. قال رجل منهم اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق عليهما أهلا ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منها. وقال الآخر اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلىّ فراودتها عن نفسها فامتنعت عنى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينها وبين نفسها ففعلت حتى قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرّجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىّ وتركت الذهب الذى أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنّا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد لى أجرى. فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله لا تستهزىء بى فقلت إنى لا أستهزىء فخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنّا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه: أوصانى خليلى رسول اللهﷺ أن أنظر إلى من هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى وأحب المساكين وأن أدنو منهم وأن أصل رحمى وإن قطعونى وجفونى وأن أقول الحق وإن كان مراً وأن لا أخاف فى الله لومة لائم وأن لا أسأل أحداً شيئاً وأن أستكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة.

ومن الأعمال الصالحات: الصدق، والصبر، والبر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والأمانة فى البيع، وحسن الخلق.

الصدق

الصدق هو موافقة الحق فى السر والعلانية. والحق هو العقيدة والسر هو الباطن (أى ما فى القلب) والعلانية هى الظاهر من الأقوال والأعمال. والحق لا يتغير أما ما يسر وما يعلن فهو متغير. ويحاسب الله الإنسان على سرائره أى على نياته كما يحاسبه على أقواله وأعماله ولا يؤاخذه على ما اضطر إليه من أقوال أو أعمال كما لا يؤاخذه على الخواطر أو الرغبات التى تسبق العزم والنية.

فالصدق هو الإيمان والتقوى والبر للخالق وهو خلو الأقوال والأعمال والقلوب من الشوائب. أما مخالفة الظاهر للباطن فذلك هو الرياء والنفاق ومخالفة الباطن للحق فذلك هو الفسق. أما مخالفة الظاهر والباطن للحق فذلك هو الكفر.

والشريعة تحاسب على الظاهر والله يحاسب على الباطن والنيات.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وأوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل فقال: «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح».

الصبر

الصبر نصف الإيمان وهو من كنوز الجنة. وانتظار الفرج بالصبر عبادة. وما من مؤمن أصيب بمصيبة فصبر عليها إلا كان صبره كفارة لذنوبه. والمؤمن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له . وإذا صبر المؤمن فى الرخاء والسراء على إغراء المال والبنين

والصحة والقوة والسلطان والجاه ولم يستجب لهوى النفس ولا لوسوسة الشيطان فى استخدام هذه النعم فى معصية أو خطيئة أو إثم أو فحشاء أو ظلم أو عدوان كان ذلك خيراً له. وإذا صبر المؤمن على البؤس والفقر والعسر والخسارة ورضى بما قسم الله له ولم ينحرف ولم يسرق ولم يحقد على ذى سعة إيماناً بأن بعد العسر يسراً وبعد الضيق فرجا كان ذلك خيراً له.

والصبر على أداء الفرائض والعبادات والجهاد وطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه فريضة. أما الصبر على تحمل الإيذاء والمكاره فهو نفل.

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥].

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين».

وقال ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

وقال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك

لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

وقال فيما يرويه عن الله: «إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (أى بعينيه) فصبر عوضته عنهما الجنة».

وقال رسول الله ﷺ:

«أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: قلب شاكر ولسان ذاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة لا تبغيه فى نفسها وماله».

«الصبر كنز من كنوز الجنة».

«الصبر نصف الإيمان».

«انتظار الفرج بالصبر عبادة».

«إن العبد إذا أذنب ذنباً فأصابته شدة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً».

«لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبره».

«ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل عليها».

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «إذا أراد الله بعبد خيراً أو أراد أن يصافيه صب عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجا فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانية فقال يارب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لا تسألنى شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندى ما هو أفضل منه. فإذا كان يوم القيامة جىء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تقرض

أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب».

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

البـــر

يقول الله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبر هو جامع الفضائل وأكبر الفضائل بر الله ورسوله.

قال رسول الله ﷺ:

«البر حسن الخلق...».

«البر ما اطمأنت إليه النفس...».

«... والبر يهدى إلى الجنة...».

ومن البـــر بر ذوى القربى، وبر الـــوالدين، وبر اليتـــيم، وبر الجار، وبر الضيف.

بر ذوى القربى

قال الله تعالى:

﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ...﴾ [النساء: ١].

﴿ ...وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّه... ﴾ [الأنفال: ٧٥، الأحزاب ٦].

﴿ ...وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال رسول الله ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى».

«... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه...».

«الرحم متعلقة بالعرش تقول مَنْ وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله».

«مَنْ أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه».

«مَنْ سرّه أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه».

قال أعرابى لرسول الله ﷺ يارسول الله أخبرنى بما يقرّبنى من الجنة ويباعدنى عن النار. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم».

وسئل رسول الله ﷺ عن خير الناس. فقال: «أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر».

بر الوالدين

يقول الله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾ [العنكبوت: ٨].

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا... ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر... ألا أنبئكم بأكبر الكبائر... ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور».

«من أصبح مطيعاً لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة...».

«بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله».

«إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسة مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم».

«بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم».

«من سره أن يمد له فى عمره ويزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه».

«النظر إلى الكعبة عبادة والنظر فى وجه الوالدين عبادة والنظر فى كتاب الله عبادة».

«ما من رجل ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة».

«رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين».

«إذا ترك العبد الدعاء للوالدين انقطع عنه الرزق».

«ما بر أباه من حد إليه الطرف».

«لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر».

«ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفاً ولا عدلا: عاق ومنان ومكذب بقدر».

«ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف».

«ثلاثة لعنهم الله تعالى: رجل رغب عن والديه ورجل سعى بين رجل وامرأته يفرّق بينهما ثم تخلف عليها من بعده ورجل سعى بين المؤمنين بالأحاديث ليتباغضوا ويتحاسدوا».

«ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث الذى يقر الخبث فى بيته».

«إثنان يعجلهما الله فى الدنيا: البغى وعقوق الوالدين».

«ملعون من سب والديه».

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن أبى أخذ مالى. فقال: «اذهب فأتنى بأبيك» ونزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إذا جاء الشيخ فسله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه. فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله». فقال سله يارسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى. فقال له رسول الله ﷺ: «أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك». قال: قلت:

غدوتك مولوداً وعلتك يافعاً ... تعمل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن ... علىّ بمال دون مالك تبخل

فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال: «أنت ومالك لأبيك».

بر اليتيم

يأمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بالإحسان إلى اليتامى وحسن معاملتهم والحفاظ على أموالهم. فإذا ما أطعنا الله وأطعنا الرسول وتمسكنا بكتاب الله وبسنة الرسول يتمتع اليتيم برعاية أكثر مما يتمتع به غيره. فهذا يرعاه واحد أو إثنان واليتيم يرعاه جم كثير.

يقول الله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ... ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ... ﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨].

﴿ ...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ... ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الإسراء٣٤، الأنعام: ١٥٢].

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

قال رسول الله ﷺ:

«من وضع يده على رأس يتيم ترحماً كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة».

«خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه».

بر الجار

يقول الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال رسول الله ﷺ:

«مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

«الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق وجار له حقان وجار له حق واحد: فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام. والجار الذى له حقان فهو الجار المسلم فله حق الإسلام وحق الجوار. والجار الذى له حق واحد فهو الكافر له حق الجوار».

وقيل لرسول الله ﷺ ما حق الجار. قال: «إن استقرضك أقرضته وإن استعانتك أعنته وإن احتاج أعطيته وإن مرض عدته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير سرك وهنيته وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزيته ولا تؤذه بقتار قدرك

إلا أن تغرف له منها ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها وإلا فأدخلها سراً لا يخرج ولدك بشيء منه يغيظون به ولده. . .».

«. . . وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً».

«لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه».

وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها. فقال: «هى فى النار».

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها إن لى جارتين فإلى أيهما أهدى؟ فقال رسول الله ﷺ: «إلى أقربهما منك باباً».

بر الضيف

قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

«الضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة».

قيل لرسول الله ﷺ إنك لتبعثنا فننزل على قوم لا يقرونا. قال: «إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف».

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يحثنا الله تعالى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وذلك أمر واجب على المسلم نحو المسلم بعامة وواجب على الوالدين نحو أولادهما بخاصة. والزوجان يأتمران بالمعروف ويتناهيان عن المنكر.

يقول الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من وصايا لقمان لابنه.

يقول الله تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من حلاوة العبادة. يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه:

«وجدت حلاوة العبادة فى أربعة أشياء: أداء فرائض الله واجتناب محارم الله والأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله والنهى عن المنكر اتقاء غضب الله».

والآمر بالمعروف الناهى عن المنكر من خير الناس وهو خليفة الله ورسوله.

سئل رسول الله ﷺ مَنْ خير الناس؟ قال: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم لرحمه». وقال: «مَنْ أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه».

ويحذرنا رسول الله ﷺ من التخلى عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول: «... بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر...». «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

«من شهد منكم منكراً فرضى به فكأنه قد فعله».

ويأمرنا رسول الله ﷺ بتغيير المنكر فيقول: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان».

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون بالنصيحة واللين وبمنع المنكر والعدوان دون تعد على أحد وبالتبليغ عن الجرائم أما القصاص وإقامة الحد فذلك من شأن ولى الأمر.

وقال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومَنْ سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء».

الأمانة فى البيع

يقول الله تعالى:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣].

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١ - ٣].

قال رسول الله ﷺ:

«خيركم أحسنكم قضاء».

«إذا بايعت فقل لا خلابة». (أى لا خديعة) «مَنْ غشنا فليس منّا».

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم (منهم) رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب».

«من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم».

«لا يبيع أحدكم على بيع أخيه».

ونهى رسول الله ﷺ عن شراء المغصوب والمسروق ونهى عن بيع المحرم وبيع العنب لمن يتخذه خمراً.

ونهى عن البيع الغرر وهو ما احتوى على جهالة أو مخاطرة أو مقامرة أو خداع أو غش. ومن أمثلة البيع الغرر:

* بيع النجش: وهو زيادة سعر السلعة لا لشرائها ولكن للتغرير بمشتر آخر.

* بيع التلقى: وهو تلقى التاجر قبل بلوغه السوق والشراء منه قبل أن يعرف سعر سلعته بالسوق.

* بيع الحصاة: وهو بيع مساحة من الأرض تحدد بما تبلغه حصاة يقذفها المشترى.

* بيع ضربة الغواص: وهو بيع ما قد يحصل عليه الغواص قبل أن يغوص.

قال رسول الله ﷺ: «لا تشتروا السمك فى الماء فإنه غرر».

* بيع ما فى ضروع الماشية من لبن قبل حلبها.

* بيع ما على الأغنام من صوف قبل جزه.

* بيع السلم بدون تحديد الكيل والوزن والأجل.

* بيع المضامين: وهو بيع نتاج الماشية قبل أن تنتج.

* بيع حبل الحبلة: وهو بيع الأجنة فى بطون الماشية.

* بيع التصرية: وهو بيع الماشية محفلة بالحليب الذى اجتمع فى ضرعها.

* بيع المنابذة: وهو البيع دون تقليب.

* بيع الملامسة: وهو البيع دون لمس.

* بيع المزابنة: وهو بيع الثمر بالتمر كيلاً أو بيع الزبيب بالكرم كيلا.

* بيع المحاقلة: وهو بيع القمح وهو فى سنبله فى الحقل بالحنطة.

* بيع المخاضرة: وهو بيع الثمار خضراء قبل تمام نضجها.

* بيع العربون: وهو بيع المضطر الذى يبيع سلعته ويأخذ عربونها دون تحديد ثمنها ثم يحدده المشترى عند انخفاض سعرها أو يترك السلعة.

* شراء المضطر: وهو أن يشترى المضطر سلعة دون تحديد ثمنها ثم يحدده البائع عند ارتفاع سعرها.

* بيع الملاقيح: وهو بيع ما فى أصلاب الفحول.

* بيع العينة: وهو بيع السلعة للمشترى بالأجل ثم شراؤها منه نقداً بثمن أقل.

* بيع الثنيا: وهو أن يستثنى فى عقد البيع شىء مجهول يفسد العقد.

ونهى رسول الله ﷺ عن بيع السلعة قبل قبضها فقال: «إذا اشتريت شيئاً فلا تبعه حتى تقبضه».

وقال: «البيع بالخيار» أي بقبول البائع والمشترى.

حسن الخلق

الخلق هو ما بطن من عزم ونية وما ظهر من فعل الجوارح. وهو إن كان مطابقاً للفطرة فهو خلق حسن وإن كان مغايراً لها فهو خلق قبيح. وإن كان الفعل الظاهرى مخالفاً لما بطن فهو الرياء والنفاق.

سئل رسول الله ﷺ ما الدين. قال: «حسن الخلق».

وحسن الخلق هو أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول براً وقوراً شكوراً رضياً حليماً رقيقاً عفيفاً شفيعاً متواضعاً لا لعّاناً ولا سبّاباً ولا نمّاماً ولا مغتاباً ولا بهوتاً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا حسوداً ولا بخيلاً ولا مسرفاً ولا عاقاً ولا قاطع رحم. وأن يكون بشّاشاً هشّاشاً يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله ولا يجهر بالسوء.

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عليه».

والإنسان حر يختار الخلق الحسن أو الخلق القبيح. والاختيار يتم فى مرحلة العزم ويصبح إرادة ونية ثم سلوكاً وعملاً نتيجة لفوز أو هزيمة قوة الخير (الإيمان) أمام قوة الشر (الشيطان وهوى النفس). والإيمان هو وليد العلم والتقوى فمن كان إيمانه قوياً تغلب على قوة الشر واختار الخلق الحسن ومَنْ كان فى إيمانه ضعف تغلبت عليه قوة الشر واختار الخلق السيىء. فالعلم والتقوى هما خط الدفاع ضد الشر ويتوقف عليهما اختيار افعل أو لا تفعل واختيار الحق أو الباطل واختيار الصواب أو الخطأ واختيار الصدق أو الكذب. فالعلم والتقوى هما صانعا خلق الإنسان. من أجل ذلك كانت علوم الشريعة فرض عين على المسلم.

ولقوة الشر (هوى النفس ونزغات الشيطان) مداخل أهمها الغضب والشهوة. وبالعلم والتقوى يقوى الإيمان ويسيطر على هذه المداخل ويتحكم فيها. قال رسول الله ﷺ: «المجاهد مَنْ جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل». ويقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وإذا تمت السيطرة على مداخل قوة الشر أصبحت النفس مطمئنة وحسن خلق المرء. والقلب العامر بالمعرفة والتقوى أى العامر بالإيمان لا يستجيب لهوى النفس ولا لنزغات الشيطان. والقلب العارى من المعرفة والتقوى يستجيب لهما. والقلب المتقلب يتجاذبه الإيمان عن اليمين وهوى النفس ونزغات الشيطان عن الشمال. فإذا عمر القلب بالتقوى كانت النفس مطمئنة وإذا شحن القلب بالهوى كانت النفس أمّارة بالسوء وإذا تجاذبه الإيمان من جهة وهوى النفس ونزغات الشيطان من جهة أخرى فمال إلى الشمال ثم عاد إلى اليمين كانت النفس لوّامة. والنفس تتفاوت بين هذا وذاك درجات: نفس أمّارة بالسوء وازرة سوالة ونفس لوّامة ونفس ملهمة زكية مطمئنة راضية ونفس مرضية.

والنفس المرضية (أى التى يرضيها الله) هى النفس السليمة ذات الشفافية

والانطلاق لتخلصها من سجن الجسد ورين الطباع. وصاحب هذه النفس تنكشف عنه الحجب بإذن الله ويتكشف له ما شاء الله من الأسرار. والأنبياء والصالحون هم أصحاب هذه النفوس المرضية.

سئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل. فقال: «خلق حسن».

وسئل ما خير ما أعطى العبد. قال: «خلق حسن».

وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصنى. فقال: «اتق الله حيث كنت». قال زدنى. قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها». قال زدنى. قال: «وخالق الناس بخلق حسن».

وقيل لرسول الله ﷺ أى المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً».

وقال رسول الله ﷺ:

«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».

«إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا».

«أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق».

«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق».

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

«المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه».

يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢-٥].

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨، ٩].

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

obeikandl.com